

أضواء البيان

@ 548 مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ °
ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ ° وَقُلُوبُهُمْ ° إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ { ، فالاقشعرار المذكور ،
ولين الجلود والقلوب عند سماع هذا القرآن العظيم المعبر عنه بأحسن الحديث ، يفسر
معنى الخشوع لذكر الله ، وما نزل من الحق هنا كما ذكر ، وقوله تعالى : { وَلَا يَكُونُوا °
كَالَّذِينَ أُوتُوا ° الْكِتَابَ ° مِنْ قَبْلُ ° فَطَالَ عَلَيْهِمْ ° الْأَمَدُ ° فَقَسَتْ °
قُلُوبُهُمْ ° } قد قدمنا في سورة البقرة في الكلام على قوله : { ثُمَّ ° قَسَتْ °
قُلُوبُهُمْ ° } بعض أسباب قسوة قلوبهم ، فذكرنا منها طول الأمد المذكور هنا في آية
الحديد هذه ، وغير ذلك في بعض الآيات الأخر . .

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كثرة الفاسقين ، من أهل الكتاب جاء موضحاً في آيات
آخر كقوله تعالى : { وَلَوْ ° ءَامَنَ ° أَهْلُ ° الْكِتَابِ ° لَكَانَ ° خَيْرًا ° لَهُمْ °
مِنْهُمْ ° اللَّهُمُّ ° وَمِنُورٌ ° وَأَكْثَرُهُمْ ° الْفَاسِقُونَ ° } وقوله تعالى : { فَأَتَيْنَا °
الَّذِينَ ° ءَامَنُوا ° مِنْهُمْ ° أَجْرَهُمْ ° وَكَثِيرٌ ° مِنْهُمْ ° فَاسِقُونَ ° } إلى غير
ذلك من الآيات . قوله تعالى : { كَمَا ° ثَلَّ ° غَيْثٌ ° أَعْجَبَ ° الْكُفَّارَ ° زَيَّاتُهُ ° ثُمَّ °
يَهَيِّجُ ° فَتَرَاهُ ° مُصْفَرًّا ° ثُمَّ ° يَكُونُ ° حُطَامًا ° } . قد قدمنا الكلام عليه في سورة
الزمر في الكلام على قوله تعالى : { ثُمَّ ° يَهَيِّجُ ° فَتَرَاهُ ° مُصْفَرًّا ° ثُمَّ °

يَجْعَلُهُ ° حُطَامًا ° } ، وبيننا هناك الآية الدالة على سبب اصفراره . قوله تعالى : { مَا °
أَصَابَ ° مِنْ ° مُصِيبَةٍ ° فِي ° الْأَرْضِ ° رِضٌ ° وَلَا ° فِي ° أَنْفُسِكُمْ ° إِلَّا ° فِي ° كِتَابٍ ° مِنْ °
قَبْلِ ° أَنْ ° نَزَّلَ ° هَآءَا ° إِنَّ ° ذَلِكَ ° عَلَى ° اللَّهِ ° يَسِيرٌ ° } . ذكر جل وعلا في هذه
الآية الكريمة ، أن كل ما أصاب من المصائب في الأرض كالحقحط والجذب والجوائح في الزراعة
والثمار وفي الأنفس ، من الأمراض والموت كله مكتوب في كتاب قبل خلق الناس ، وقبل وجود
المصائب ، فقوله : { مِنْ ° قَبْلِ ° أَنْ ° نَزَّلَ ° هَآءَا ° } ، الضمير فيه عائد على الخليقة
المفهومة في ضمن قوله : { وَ ° فِي ° أَنْفُسِكُمْ ° } أو إلى المصيبة ، واختار بعضهم رجوعه
لذلك كله . .

وقوله تعالى : { إِنَّ ° ذَلِكَ ° عَلَى ° اللَّهِ ° يَسِيرٌ ° } أي سهل هين لإحاطة علمه وكمال
قدرته . .

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أنه لا يصيب الناس شيء من المصائب إلا وهو